ماريا التي سكنتني
بقلم
رشا شمس

سطور من حياة

رشا شمس

✽قاصة وروائية مصرية عرفها القرَّاء حين صدر لها مجموعة قصصية كاملة بعنوان "**قلوب واجفة**"، كانت الأكثر مبيعًا ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٧م،

تمَّ ترجمتها إلى الفرنسية وأُودِعت النسخة المترجمة في مكتبة باريس العامة..

✽وفي ٢٠١٨م قدَّمت رواية "**واشتاقت إليك عيناي**" التي حقَّقت نجاحًا مُرضيًا على الصعيد الجماهيري خلال فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٨م وكانت الأعلى مبيعًا ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع، وصدر من الرواية أربع طبعات في عامٍ واحدٍ،

أشاد بالرواية لفيف من الأدباء المصريين والنقَّاد وناقشها د.حسام عقل أستاذ النقد والدراما بكلية التربيةجامعة عين شمس في ندوة مميزة جرت في دار الأوبرا المصرية في سبتمبر ٢٠١٨م.

✽وفي معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩م قدَّمت "**قابل للفقد**" مجموعة قصصية من العيار الثقيل وحقَّقت نجاحًا غاليًا حيث صدر منها طبعتان خلال المعرض.

✽ حاصلة على بكالوريوس في علم الميكروبيولوجي من جامعة عين شمس بتقدير عام جيد جدًا، عملت أثناء دراستها الجامعية كصحفية في مؤسسة أخبار اليوم.

✽ حاصلة على دبلومة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة كامبريدج ١٩٩٧م، تتلمذ على يديها مئات الأجانب العاشقين للغة العربية وفنونها وآدابها، حاصلة على دبلومة في الأدب المقارن وعلوم الدراما من جامعة كامبريدج ٢٠٠٠م.

* المدير العام والمُنسِّق الإعلامي لمُبادرة نساء مُبدعات المعنية باكتشاف ودعم المواهب والأقلام الأدبية من جميع أرجاء العالم العربي.

* تعشق القراءة والأدب، وتربية الطيور وخاصةً العصافير والكناريا، تهوى ركوب الخيل والاسكواش، الموسيقى وتُفضِّل "البيانو" و" الناي " والمقتنيات القديمة والتحف المميزة..

*** للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

ماريا التي سكنتني !

" وشتاءٌ من دونكِ همزته تاء "

مضى من عمري الهزيل عامان كاملان كنت أحترق في لياليهما شوقًا لتلك الأنثى التي سكنتني، اثنا عشرة شهرًا انتحبتُ ساهرًا لا يُفارقني مصحفي ولا تُفارق دمعاتي وسادتي، جرحي مازال ينزف، وقلبي مازال يرتجف، مازالت صورتها تتراءى لي عند كل زاوية وعند كل منعطف، لعلَّها تدرك يومًا قريبًا كان أو بعيدًا أن حبي لها كان واقعًا غجريًا لم أجرؤ على احتماله، كان طُغيانًا عصف بكياني فلم يكن لي عليه سلطان، أضعفني الأمر وأنهكني النزاع النفسي، ألوم نفسي بكلمات لاذعة صباح مساء، ولو كان الأمر بيدي لهشَّمت رأسي العنيد لأتخلص من ذكرى تلك التي تتخللني وتسكن خلاياي، اتنفس عشقها مُنتشيًا، تُثملني الذكرى وتغشاني نشوة حين أنطق اسمها سرًا بين أضلعي، أرتعد حين يجول بخاطري أنها ربَّما باتت الآن في أحضان غيري، يهنأ هو بها ومعها بينما أصبحت ذكراها سحابة شتاء ثقيلة تنعكس على كل ما حولي؛ فلا أرى غير وجهها وقد اختفت ابتسامتها وتبدَّلت ليكسو ملامحها الملائكية لوحة من أسْود الإنكسار؛ فتركتني وحيدًا أعزلًا تائهًا دونها.

كان لقاؤنا غير محسوب، رأيتُها في احتفالٍ صغير أقامه لي صديق قديم ابتهاجًا بوصولي إلى لندن عاصمة الضباب بعد كثيرٍ من الإجراءات التي طالت والإنتظار الذي امتدَّ يحرق الآمال ويُفتِّت الأحلام، وبعد أن بلغ مني اليأس مبلغه ولولا تدخل مباشر من رئيسي في العمل بتوصيات متلاحقة واتصالات متتالية تسمح بها علاقاته الشخصية مع كل من كان الأمر بيده، وقعت عيناي على فتاة رائعة القوام، ترتدي ثوبًا أرجوانيًا يلف جسدها الممشوق في عِزَّةٍ وبهاء فتظهر مفاتنه دون ابتذال، لوحة آسرة تسرُّ العين والقلب معًا، إنها "ماريا جيسون" تلك اليمامة التي تقف بكبرياءٍ هناك في إحدى زوايا القاعة، أنفها دقيق، فمها رشيق وعيناها أسطورة خضراء لم أر لها مثيل، يمامة طارت من أرض الفردوس وأنا عاشق لليمام؛ فاستقرت هناك جنب النافذة، لم تبتسم لي، لم يسترع وجودي انتباهها رغم أني ضيف الشرف، كانت وكأنها تقف على الشاطئ الآخر من العالم، بيني وبينها بحرٌ من الاختلاف والتناقض، وقع بصري عليها فور دخولي قاعة الاحتفال، رأيتُ أجفانها ترتعش حين اصطدم وجهها العذب بسحابة كثيفة من دخان سيجارتها، كان الحضور ينتظرون لقائي وكأننا كنا على موعد سابق، تحدثتُ مع الجميع بمودة منبعها نيَّة

حقيقية على تكوين صداقات، هنأوني بسلامة الوصول؛ فشكرتُ ترحابهم ومودتهم، تعرفتُ عليهم وفي داخلي حرص شديد على حفظ وتذكُّر أسمائهم ووظائفهم وتسجيل أرقام هواتفهم، فالغربة صعبة ولا يُهوِّنها سوى الألفة التي تؤنس الأيام وتقتل وحشتها، درسٌ مجاني لقَّنني إياه أبي الشيخ "عبد الباسط المنياوي"،علَّمتْهُ إياه السنون الطويلة التي قضاها مُتنقِّلًا بين بلدان القارة الأفريقية كرئيس لبعثة الأزهر الشريف، فقضم سنوات غربته في خدمة الدعوة الإسلامية ونشر أصول الدين قبل أن يتوفاه الله في كينيا منذ سنواتٍ سبع...

كان الجو حميميًا والمزحات تنطلق هنا وهناك، بينما أنا أطوف على الحضور تعلو وجهي ابتسامة عريضة، وأذكُر كم كان أفراد الجالية العربية وبعض الشخصيات الإنجليزية الحاضرة على قدر كبير من الثقافة والتحضُّر، اهتم الجمع بي وسعوا نحوي مُرحِّبين إلا هي، ماريا جيسون.. أفروديت المعاصرة!

***

اختليتُ بنفسي في الشرفة، تنفستُ الهواء الطازج بعمق، دخنتُ سيجارة تلو الأخرى مع كوبٍ ساخن من الشاي

مجموعة قصصية

الإنجليزي المُعتبر حتى استعدتُ توازني، الآن بتُ أفضل قليلًا، استجمعتُ شجاعتي بينما الفضول يكاد يقتلني، مَن هي تلك اليمامة الأرجوانية التي تواطئ التاريخ مع الجغرافيا على عتبة ابتسامتها ليسلبوا العالم راحته واتزانه؟!..... اقتربتُ منها في هدوء حتى لا أحطم زجاج عزلتها، احتلَّتني غمامةُ عطرها الذي استنشقته رغم المسافة التي مازالت تفصل بيننا، مددتُ يدي مرحبًا وأنا أقول بإنجليزية محترفة: أنا باسم المنياوي، الملحق الثقافي الجديد في السفارة المصرية، تشرفت بلقاءكِ آنستي.

وبنظرة ثاقبة استهدفتني مباشرةً باغتتني قائلة: **ماريا جيسون، مديرة مكتبكَ سيدي.**

أعجبني أن تُناديني ب "سيدي" وراقني أن أكون في مواجهتها، لابد وأنها من عرائس والت ديزني، لا أبدًا... إنها أجمل وأرق من دُمية باربي الشهيرة، اقتربتُ بحذر؛ فوجدتُ في مواجهتها سحر وجلال يتناغم مع حضورها الطاغي وجاذبيتها المُسيطرة، ماريا الفاتنة..والفتنة أشد من القتل..

ربَّما طال صمتي احترامًا لتلك اللوحة البهية، فإذا بها تسألني بلهجة حائرة ونظرة مُتطلعة: أتعتقد أن بلدنا أجمل بلد في

العالم؟؟ حقًا ما الذي يدفع شاب مثلكَ للدخول في صراع محتدم لينتهي به الأمر وحيدًا إلى ليالٍ باردة طويلة في بلد غير بلده وثقافة غير ثقافته؟؟

فاجأني السؤال وفاجأتني نبرتها الحادة الممزوجة بحزنٍ دفينٍ تنطق به عيناها في خشوع ويأس..

لم أجد مفرًا من أن أحوِّل بصري عنها، فنظراتها تغويني، أجبتُ في هدوء مصطنع: لاشك أنه بلد لا يخلو من الحُسن والجمال بالإضافة إلى رفاهية العيش، هنا يمكنني إحراز تقدُّم ملموس في حياتي العملية وبسرعة لا يسمح بها الروتين في بلدي النامي، بلدكم جميل آنستي، بل هو أجمل بلد في العالم لأنكِ تتنفسين هواءه.

لا أدري لِمَا أحمرَّ خديها، أكان ذلك خجلاً أم غضبًا، لا أعلم!!

شرد ذهني لحظة تساءلتُ فيها: لِمَا لا تكون أجنبيةً مثلي؟؟ تؤلمها الغربة ويقتلها الحنين، لكن اسمها يؤكد إنجليزيتها.. لا أعلم، فقد أربكتني تلك الجميلة ذات الرداء الأرجواني، يمامتي التي تمنَّيتُ ألا تطير أبدًا..

فهمتُ بحاستي الذكورية أنها امرأة مختلفة، امرأة من التوت

البري، امرأة الياقوت، شغلني حزنها الدفين الطَّال من عينيها، أدركتُ أن في هذه الأمسية سيكون بيني وبينها ساحة حرب صامتة رغم اشتعالها، فعليَّ أن أتأهب لذلك وأشحذ كل طاقتي لمواجهة غضب داخلي لا أعرف سببه تحمله ماريا بين جنبات نفسها، فإما هزمتني وإما نجوتُ..

رفضتُ كؤوس الويسكي التي قُدِّمتُ لي، ليس ورعًا لكنه خوف من تجربة جديدة، لم أتهيأ لها بعد، فلساني لم يعرف ذاك المشروب الأصفر من قبل، وانطلقت الابتسامات حولي والهمهمات، الملحق الثقافي الجديد لا يشرب، إنه مؤمن ورع، لم أهتم بما يُقال عني، فقد كانت عيناي مُثبِّتتانِ نحو الجِنِّية الأرجوانية بينما أشاحت هي وجهها عني، كانت تُحادث آخرًا وتضحك لكن عقلها كان معي، تشعُر بي كما أشعُر بها، أقسم أن عينيها كانت تُحادثني بما لا يسمعه غيري، ثمَّ تقدَّمتْ نحوي بكأس في يدها قائلة بدلال يُناسب حضورها الزاهي: **ستشرب الآن من أجلي، أليس كذلك؟**

تحسستُ يدها وأنا أسحب منها الكأس، ألهبتني لمستها وكأنها جمرة نار، أغوتني عيناها الخضراوان المُحدَّدتان بزرقة

فيروزية كورق زنبق يتربع في بهاءٍ فوق مياه بُحيرة استوائية، قتلتني تلك الرموش الطويلة في زهو، ما هذا المجهود الذي تبذله لهزيمتي؟ وما هذا الثبات؟ ما شأنها بي؟ تجرعتُ الكأس وأنا أهمس داخلي: لماذا يا ماريا، لماذا؟

انهيتُ كأسي على جرعة واحدة، فابتسمت قائلة: **لم يكن للأمر علاقة بالإيمان إذن، هذا ما أردتُ إثباته، وقد فعلتُ**..

أعلنتْ جملتها صريحة وسط الحضور؛ فصفَّق الجميع لها ابتهاجًا بانتصار حقَّقته ماريا على شرفي في نزال قادتني نحوه على غفلةٍ مني ودون إرادتي!...

اجتاحني غضب مفاجئ ولو أني تركت نفسي حينها على سجيتها لشددتها نحوي من شعرها الكستنائي المنسدل على كتفيها في تفاخر وغرور وألهبتُ شفتيها بقبلة لم تتذوقها من قبل، أو ربما نزعتُ عنها ذاك الرداء الأرجواني الذي يُغلِّف جسدًا شهيًا ككوز العسل... يبدو أنها قرأتْ ما يدور في ذهني أو أن عيناي فضحتاني، ضحكتْ واقتربتْ هامسة: **أرجو ألا تفعل ما يوسوس لكَ به شيطانك الشرقي، لا تخف، فلا مزيد من التحديات، أعدُك**..

سحبت الكأس الفارغ من يدي وتركتني مشدوهًا لا أسمع إلا صوتها الرخيم....

***

ثلاثة شهور مرَّتْ عليَّ بعد تلك الأمسية وأنا أراقبها وألاحقها بنظراتي الفاحصة دومًا الفاحشة أحيانًا، بمجرد أن تقع عيناي عليها لا أستطيع أن أغادرها، يجذبني حضورها ويسحرني عبيرها، تمنيتُ أن تدركَ أني أعرفها منذ زمنٍ بعيد، ففي سنوات مراهقتي أضرمت النيران في جوفي بأحلامٍ مستعرة عنها، حدَّثتها مرارًا في صباي وسنوات شبابي الأولى، رأيتُها من قبل في أحلامي، فقد سكنتني...سكنتني وهذا ما كنتُ أخشاه..

وذات يوم وبعدما خلا المكتب ماعدانا، وجدتُها تدخل غرفتي وكأنها تقتحم ثكنتي العسكرية وقد أعَدَّت عدتها وأغلقت كل الثغرات ورسمت كل الخطط وأزالت كل الحواجز الدفاعية، اقتربتْ أكثر فأكثر حتى شعرتُ بصدرها الصلب الشرس يخترق أضلعي؛ فانهارتْ كل دفاعاتي وهوَت حصوني، انخرطنا معًا في قبلة طويلة....غاص فمي في غروب الشمس عبْر كل العصور، ويالا عُمق الغوص، عيناكِ يا ماريا أسطورة عشق سرمدي سلبتني نفسي وإرادتي، التقينا وياله من لقاء!!

صار بيننا ما صار وانتهى بنا الحال وقد تمدَّدت أجسادنا عارية في ركن الغرفة، توسَّدتْ ماريتي صدري وتوَّج رأسها قلبي، غمرني أريج شعرها وامتلأت رئتاي بعبيره الذكي، هدأتْ روحي وسكَن روعي... استعدتُ نفسي وتوازني عندما وضعَت ماريا شفتيها على شفتيَّ وأدركتُ بقلبي أنها تُحبني، كان لي في قلبها ما كان لها في قلبي، لولا أنها كانت أسيرةً لتجربة حب قديمة قد ألقت بظلال سوداء قاتمة على روحها الثائرة الطليقة فمنعتها الحياة..

ففي عامها الجامعي الأول كانت قد أحبَّت شابًا عربيًا، ذو بشرة سمراء يفوح منه عطر الشرق وتوابله، لم تستمع لصديقتها حين نصحتها بعدم تجاوز الأمر مع "جمال الغامدي"، فالشرقي لا يغفر الذنوب وإن كان أول مقترفيها، فعنفوان رجولته يجعله يُصنف فتاته كعاهرةٍ بعد أول قبلة رغم أنه يرجوها وتهفو نفسه إليها، لكن حُبها لجمال دفعها نحوه، فالقلبُ دائمًا ما يبحث عمن يسكُنه ويقطف أزهاره، خطَت بسرعة نحو فتاها الشرقي كل خطوة تُقرَّبها منه مُعلنة حبها أولًا وولائها ثانيًا دون قيد أو شرط.. تُثبتُ له يومًا بعد يوم كَم تحبه، لا شيء يمنعها أن تحبه، وأن تستمتع معه بهذا الحب، أن تمنحه ما لم تمنحه لغيره من الرجال، وفي عيد ميلاده أهدتْهُ عُذريتها...

مجموعة تصحية

أما هو فقد خطى نحوها بخطوات ثابتة حتى استولى على ما لا يستحق، ثم غادرها إلى موطنه المتخم بالبترول، تزوج من عذراء شرقية لم يلمسها قبله مِن أحد.. صدمها جمال بفعلته الحقيرة، أهانها ومزَّق آدميتها حين عاملها وكأنها مجرد قطعة قماش تغلَّب بها على حاجته وهزم بها شهوته؛ ثم رحل إلى ابنة عمومته الخمرية ذات الحجاب، رفض عقلها كل شرقي بعد ما كان، أوصدت قلبها أمام كل ريح تأتيها من الشرق، فليس عليها عبور البحر، مرَّت شهور تألمتْ فيها، تأزَّمت علاقتها بنفسها، لامها قلبها كثيرًا، جادلها عقلها أكثر حتى هدأت ثورتها وارتضت ذلك وتقبلته، هكذا هو الأمر.. فلا ضير إذن من علاقات عابرة لا تأخذ منها أكثر مما تستحق ولا يتوجب عليها حيالها التزامًا يُقيدها أو يؤلمها، عاشت سنوات تعوَّدت خلالها ألا تمنح قلبها لشرقي يُسحرها حضوره، ولا غربي يُعجبها سلوكه، فالرجال مُخادعون، يعشقون السفر والترحال بين النساء، حتى أباها فقد هجر والدتها بعد أن أنجب منها ست من الأطفال، أرهقته المسئولية واستنزفت احتياجات الأطفال قواه ومدخراته؛ فعاد إلى كشمير، موطنه الأصلي تاركًا زوجته ترعى وحدها أطفالهم، غاب وغابت معه كل ملامحه وبهتت صورته في عين أبناءه رويدًا

رويدًا، حصلت والدتها على حكم الطلاق من القضاء، وغيَّرت لقب أطفالهم ومنحتهم "جيسون" لقبَها هي، لِمَا لا وهي أولى بهم وأحق... لم تر "ماريا" والدها "رشيد كييف" منذ أن كانت في الخامسة من عمرها وتمنَّت ألا تراه أبدًا... ثم كان ما كان مع "ابن الغامدي" الذي تتبَّعت أخباره من قبيل الفضول؛ فعرفتْ أمر زواجه، أرسل لها بعد ثلاثة أعوام صورته مع والديه وزوجته وتوأمهما الجميل، صار صحفيًا لامعًا في جريدة وطنية بارزة، وكاتبًا ذا شهرة لا تُخفى على أحد في بلاد نَجْد والشرق الأوسط، ربما يسعى للعالمية ويؤمن بداخله بالعلمانية، يعترض على زمرة من القوانين التي تحكُم مجتمعه، لكنه بكل تأكيد لا يقوى على إعلان ما يجول بباطنه ولا يسعه إلا الانخراط في محليته ومجاراة قوانينها حتى وإن رفضها وازدراها داخله...

تقبَّلت ماريا ذلَّتها وراحت تعالج روحها بالحنان والعطف على الفقراء والمساكين، انخرطت في العمل المجتمعي، وهبت أيام أسبوعها لخدمة مرضى السرطان، وذوي الاحتياجات الخاصة، ودور الأيتام، تسكب عليهم عواطفها وتجدِّد معهم إنسانيتها وإيمانها الفطري بالحق والعدل والرضا، حذفت الرجال من قاموسها وعزَّزت أنوثتها بالقراءة والاطلاع، لولا أنني ظهرتُ

مجموعة قصصية

في الأفق، لم ترد أن تتجرع كأس الألم من جديد ولا أن تعاني مرارة الخذلان ولا أن تستشعر لهيب الفقد ولا أن تتجمد بصقيع الخيبة مجددًا، ثم نظرتْ نحوي في استفهام يُغلِّفه رجاء قائلة: **لن تكن كجمال، كذَّاب، منافق، أليس كذلك؟**

مسحتُ بيدي عرقًا كسا جبينها ووضعتُ يدي على يدها وقلتُ وكلي صدق: **أنا الآن رجل مُعْتَرفٌ بوجوده فقط لأنكِ أحببتِني، لا أراكِ ناقصة أبدًا وأؤمن أن قصصنا العاطفية ماهي إلا تجارب تملأ دفتر مُذكَّراتنا بالخبرة اللازمة للفهم، فلا بأس ببعض الألم المصاحب لروعة التعلم، فلا عليكِ بما قد كان، لا تفكري فيما فات بل لنحلمَ معًا بما هو آت..**

❃❃❃

كانت ماريا امرأة لي لخمسين ليلة من ليال الجنة، خمسونَ فجرًا قضيناها معًا لا يفصل بيننا فاصل ولا يمنع بيننا حاجب، وذات صباح وقد كان النوم مازال فارضًا سيطرته بالكامل على جسدها البضد احتضنتها بكل جوارحي، مرَّرتُ فمي على وجهها وعنقها الأملس المرمري أُقبِّلها، فتحتْ عينيها اللامعتين وبادلتني الصباح بقبلة هادئة منعشة كطعم النعناع مستفهمة عن وجهتي،

فاليوم عطلة رسمية والجو بارد جدًا والسماء مُلبَّدة بغيوم فبراير، ودَّعتُها بابتسامة وأردفتُ بينما أربتُ على كتفها: عليَّ الانتهاء من بعض الأمور سأعود سريعًا، فلا تنزعجي..

هكذا عدتُ إلى أرض الوطن أحمل في داخلي شقاء ماريا، شقاءٌ على انتظارها لرجل مثلي، رجلٌ كاذب، منافق، ضعيف، يعشق السباحة لكنه لا يقوى عليها إن كانت ضد التيار، يحمل على ظهره ذنب وجريمة، رجلٌ وأدَ أحلامه بنفسه، ترهقه جريرة الحنث بقسم الحب، يغشاه انحطاط السقوط في بئر الخديعة، رجلٌ يقتله وعد، وتفسده رؤى، يربكه ويشتت حياته ارتباط أراده بشدة لكنه لم يقو على تنفيذه..

أقسمُ أني لم أكن أكذب حين قلتُ أحبكِ، لكني لستُ قويًا ناضجًا بما يكفي لأتزوجكِ، مريضٌ أنا بكِ ومريضٌ من أجلكِ... علَّتي يا ماريا الإزدواجية، ولا رجاءَ من شفائي، سامحيني..

وهكذا أنا أيضًا تزوَّجتُ "جهاد" آنسة جميلة ذات بشرة بيضاء، مُمتلئة القوام قليلًا في غير تهدل، شفاهها دسمة تحمل دعوة مُلحة للقُبل، رشحتها لي أمي، رأيتُها مرة ثم خطبتُها شهرًا قبل الزفاف، تزوجتُ بكرًا لم يلمسها قبلي إنسٌ ولا جان إرضاءً

لشرقيتي وتزكيةٌ لرجولتي، فمثلي لا يبلع لقمةً سبقه إليها غيره، زوجتي هادئة، ساكنة، عيناها واسعتان بغير بريق، تحبني، توقرني، ترجو رضاي، رضوخها لأوامري واستسلامها الكامل لي في الفراش يُرضي غروري ويُشعل غريزتي لكنه بالقطع لا يُرضي إنسانيتي ولا يُهدهد مشاعري، أقسو عليها حتى تنتشي ثم أحنو عليها حين تعلو آهاتها في فراش الزوجية، أضمها إلى صدري، وأقسم لها أني لم أتعمد إيلامها؛ فتُقبلني أكثر وتُثني عليَّ، تُرضيها غلظتي معها حتى تقبض على ظهري وتغرس أظافرها فيه، تعتبرها "فتونة" وهي عاشقة لفتوات الحرافيش، تصرخ وأصرخ معها، كلانا تذوق الألم حتى أدمنه، أقسو على نفسي وأجلد ذاتي حين أُعاشرها بجسدي، تنتفض هي راضية ومعها ينتفض قلبي فيكاد يخرج من صدري ويطير إلى "عاصمة الضباب" حيث يمامتي الأرجوانية..

أنسى أحيانًا أني أعيش مع "جهاد" وأغفو؛ فأراني أسير هناك مع ماريا تحت المطر وقد تخفَّفنا من ملابسنا حتى يخترق الغيث أجسادنا، تتشابك أيدينا فلا فراغ بين أصابعنا، يتشبث كلٌ منا بالآخر تشبثه بأحلامه، فلا ينزعني من أوهامي سوى ضحكة طفلتي وهي تركض نحوي هربًا من أمها التي تُلاحقها لتدس في فمها الصغير الطعام، أحملها بين ذراعيَّ وأرفعها عاليًا ثم

ألتقطها، فتُدغدغ ضحكتها البريئة قلبي وتهُز مشاعري وتُغنيني عن الأوهام، لا أدري كيف جاءت ابتسامتها مُطابقة تمامًا لابتسامة يمامتي الأولى، أي قانون وراثي أفرز هذا الجمال العبقري؟ أهو ثوابُ أم عقاب أن أرى ماريا الصغيرة تكبر يومًا بعد يوم فتُطابق ملامحها ملامح سيدتي الأرجوانية؟ شكرتُ الله حين لم تسألني زوجتي عن سر إصراري على منح صغيرتنا اسمًا أعجميًا، أخبرتُها كذبًا أني رأيتُ ذلك في المنام قبل ولادة الصغيرة بأسبوع، أسرعت "جهاد" تسأل جارتنا الشيخة العجوز التي لا تفارق سبحتها ولا تغادر سجادة الصلاة إلا قليلًا، عادت بعد قليل لتخبرني أنها رؤية وقد سُميت صغيرتنا من فوق سبع سموات، إنها إرادة الله وعلينا السمع والطاعة، لم تعلم أنها إرادتي وأني خدعتها في ذلك أيضًا..

تمر أيامي كرًا وفرًا وأدعو الله صباح مساء تضرعًا أن تجد سيدتي الأرجوانية سعادتها، أسجدُ وأقترب وغاية أملي وعظيم رجائي أن تغفر لي ماريا كبيرتي، ماريا جيسون تلك الأسطورة التي حطَّمتُها بقسوة منذ عامين، فحطمتني هي للأبد حين سكنتني...

تمت بفضل الله

مجموعة قصصية

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول، تحيَّة طيبة

أمَّا بعد..

إلى كل من أحب وظُلِم..

إلى كل من ذاق الألم..

إلى كل من ضاع منه الأمل..

إلى كل يائسٍ مجروح ومن غدر الدنيا مذبوح..

إلى كل من أصابته الجروح..

تذكَّر أن الملائكة لا تسكن الأرض أبدًا، إنما نحن بشر، نفرح تارة ونحزن تارة، هكذا هي حيواتنا سجال بين السعادة والحزن، بين اليأس والرجاء، بين الفقد والاكتمال..

تسير بنا الحياة فكيف لنا أن نوقفها؟!

نعاني ونعاني ولا نستطيع أن نُخالفها!

الدنيا حالين نتقلَّب نحن بين حاليها، تارة تضحك لنا فنظن أننا ملكناها، وتارة تقذفنا فنتمنى لو أننا أهلكناها.

ورغم هذا وذاك نسير ونواصل السير زحفًا أو عَدوًا، نمضي في أحزاننا حينًا، ونغوص في أحلامنا حينًا، نتمنى أن يُشرق نهارنا بشمسٍ تُحي أزهارنا، فلنتذكر دومًا أن الدنيا لا تُعطي إلا وأخذت، ولا تضحك إلا وأبكت، فلا تنتظر عزيزي من الدنيا متاعها وأمِّن نفسك غدرها بالحب الخالي من الأطماع، بالعطاء دون مقابل، بالعطف غير المشروط، وبالجميل دون انتظار مردود..

فالحب أسمى ما في الوجود،
فبه نحن نجُود، وننسج أحلامنا بلا حدود..

محبتي الأبدية
المُخلصة
رشا شمس